

السيادة الوهمية

حينما تسمع أحاديث عن السيادة، وعن الحرية والكرامة، ومحاولة توظيف هذه الكلمة لا بد أنك ستصاب بحيرة ودهشة؛ لأن الواقع شيء والتحدث عن مفهوم السيادة شيء آخر.

إن الحديث عن حكايات السيادة وقصصها لا نجده إلا في الدول التي تشعر بعقدة النقص، فالكلام عن سيادة مزعومة لا تسمعه إلا في الدول ذات الحدود المستباحة، لأنك لا يمكن أن تسمع عن هذه الكلمة في الدول التي تتمتع بقوة تستطيع من خلالها أن تحافظ على أرضها وحدودها.

واليوم للأسف ما زال الحديث عن السيادة في بلد مستباح تتصارع على أرضه أجهزة العالم المخبرية والتجسس، فأية سيادة يمكن الحديث عنها؟!

فالعراق منهوب وضائع بين طامع وطامح، وبقية من شعب مهزوم خائف، أنهكته عاديّات الأيام، يعيش أيامه مرتبكاً تتحكم به قوى سياسية متعددة، يتوزع ولاؤها بين سيادات دول إقليمية ودولية، فما هو مفهوم السيادة التي يتبحسون به وفق هذه الولاءات؟!

الحال لا يختلف عن بقية البلاد الإسلامية، فهل العراق دولة بدون سيادة، أم بسيادة شكلية بدون دولة؟ ربما من الصعب وجود حل لهذه الشفرة عند من يدعون أنهم قادة البلد وأنهم النخبة المسؤولة عن أمنه، وسيادته، أحزاب وكتل تمارس السلطة والطغيان على أبناء جلدتها فقط، بينما هي عاجزة أمام دول إقليمية تفرض عليها سياسات مذلة؛ فدولة تستخدم سياسة تجفيف منابع الأنهار، وأخرى تغرقهم بالمخدرات، وثالثة تسعى لخنقهم اقتصادياً...

فالحقيقة التي لا مناص منها هي أن السيادة فقدت منذ أن ضاع إرث المسلمين، يوم أن تخلىنا عن عزنا ودولتنا وراعي حدودنا وكرامتنا، حتى أصبحنا مستباحي الحمى بين حقبة جديدة من القرارات الأمية الصادرة عن الأمم المجرمة التي لم تنشأ إلا من أجل خنق الشعوب والتآمر على نهب ثرواتها، ووضعها تحت الوصاية الدولية المجرمة باسم الاتفاقيات والمعاهدات المشبوهة التي جعلت من بلادنا الإسلامية كرتونات هزيلة تفصلها عن بعضها حدود مصطنعة ليقف التاريخ بعدها عند حقبة جديدة من احتلالات سياسية، وعسكرية مبرقة، بين سيادة فعلية وأخرى شكلية حتى صارت أكثر البلاد الإسلامية تترنح مسلوكة الإرادة.

ربما نعود لنحدث عن بلد كان في يوم ما عاصمة الدولة الإسلامية، بلد الرشيد، وكان الشعراء والأدباء يتغنون بأمجاده الزاهرة، واليوم مع الأسف أصبح دولة خاضعة لإرادات دولية، لا تسمح للقرار السيادي أن يمر أو يأخذ طريقه إلا بعد أن يمر بعددٍ من القنوات المخبرية الدولية، ليتحول أخيراً إلى قرار خادم للأهواء الخارجية بعد أن نرعت عنه صفة السيادة.

هل العراق دولة بدون سيادة، أم سيادة شكلية بدون دولة؟

ربما تكون إجابة هذا السؤال صعبة على عامة الناس لأن شفرته ضاعت ما بين الإعلام المضلل، والقائمين على سلطة البلد وتصريحاتهم النارية التي تتحدث عن سيادته التي توهم الآخرين بأن العراق يسير في الطريق الصحيح، وأنه في طريقه لتحقيق الرفاهية للشعب المسكين.

إن حدود العراق التي تستباح بين طامع بأرضه ونفطه، ومياهه لا تجد فرقاً بين الطامعين مع اختلاف جنسياتهم، فالיום مع تعالي صوت وسائل الإعلام بأن كيّان يهود يريد أن يقوم بتوجيه ضربة إلى الفصائل العراقية داخل العراق بحجج عارية واهية ليس لها واقع، لتسارع حكومة العراق بطلب النجدة من أمريكا أن تحميه من تهديدات يهود، فعن أية سيادة يتحدثون؟! وسياسيو العراق يبحثون علناً وبدون خجل عن اتفاقيات استراتيجية للدفاع المشترك لحماية البلد بينهم وبين من أوجدتهم (أمريكا). فأى دليل أكبر من هذا الدليل الصريح الخطير الذي يبرر ويشعرن بقاء القوات الأمريكية في العراق لتجعل من بلدنا ولاية أمريكية بلا منازع. أين تصريحاتهم السابقة التي كانت تتحدث عن إنهاء الوجود الأمريكي وحق السيادة؟! أي سيادة يا سادة؟!

إنه بات واضحاً أن الاحتلال الأمريكي سعى إلى تشكيل نظام سياسي في العراق يحافظ على نفوذ أمريكا في البلد، مع الأسف إن النظام الديمقراطي في العراق وضع تحت الوصايا الأمريكية. والحقيقة أن العراق فاقد للسيادة، وهو في الوقت نفسه دولة ضائعة قد تعددت فيها مراكز القوة وغابت السيادة خلالها فأصبحت شكلية.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

مؤنس حميد - ولاية العراق